



تفسير سورة الطارق

- دراسة تحليلية موضوعية -

مقدم إلى قسم التربية الدينية كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في العلوم الإسلامية

إعداد:

شاناز قهرمان جميل

بإشراف:

د. سردار أحمد قادر

٢٠٢٠-٢٠٢١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ))^١

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى.....

١. معلم البشرية، و هاديتهم إلى صراط الله العزيز الحميد محمد صلى الله عليه وسلم
٢. روح والدي، ومعلمي الأول الذي ربّاني، ووجهي إلى خدمة الدين الإسلامي الحنيف
٣. والدي، العنونة التي ضحت كثيراً في سبيل أولادها.
٤. أستاذي، الدكتور. سردار أحمد قادر
٥. أهلي وأولادي.
٦. كل من درسي يوماً أو علمني حرفاً على مر الأيام والسنين.
٧. أهل العلم جميعاً.

شكروعرفان

إنّ أولّ من أخص بالشكر والإمتنان هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، كما لي أن أقدم شكري
مشرقي الدكتور سردار أحمد قادر الذي أعانني على أعداد هذا البحث، فجزاه الله عني كل الخير، وزاده
علماً .

كما وأقدم جزيل الشكر، إلى كل من كان له فضل في إخراج هذا العمل بصورته الحالية.
وختاماً أسألُ الله العون والسداد.

الباحثة

محتويات البحث

استهلال

الأهداء

الشكر والتقدير

محتويات البحث

المقدمة

المبحث الأول

المطلب الأول: التعريف بالسورة - ١ -

المطلب الثاني : :التفسير اللغوي سورة - ٢ -

المطلب الثالث: سبب نزول سورة - ٣ -

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وبعدها - ٤ -

المطلب الخامس :الأحكام المتعلقة بالسورة - ٥ -

المطلب السابع:فضائل السورة-٧-

المطلب السادس:إسم للسورة.....-٨-

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما

بعد:

فإن من أفضل الطاعات وأجل القربات، أن يعيش المرء مع كتاب ربه عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله على وسلم، يتأملهما ويعمل على فهمها، ويسعى حسب وسعه لنشرهما وحث الناس على الإلتزام بهما، فالسعادة الحقيقية والطمأنينة الواقعية لا تتحقق إلا في ظلهم، فهما الكفيلان للوصول إلى مرضاة الله تعالى، والفوز بجنانه، واللقاء بحبيبه وخليته، كما أن الإعراض عنهما، يسبب الشقاء، والحياة والخسران في الدنيا والآخرة.

ومن فضل الله تعالى، أن من علي بعد الإستخارة والإستشارة، أن أقوم بخدمة متواضعة في مجال

التفسير لسورة الطارق

تكمّن أسباب اختياري لهذا الموضوع فما يلي:

١ - أهمية علم التفسير يُعتبر علم التفسير من أهم العلوم الإسلامية وأشرفها؛ لعدة أسباب منها

أ. يستخدم في فهم كلام الله -تعالى- وبيان معانيه وأحكامه، كما أنّ فيه بيان لأخبار

السابقين، وأخبار اللاحقين، والحكم بين الناس،

- ب. الغاية منه هي التمسك بدين الله تعالى والوصول إلى السعادة، كما أنّ حاجة الناس إليه كبيرة، ومما يؤكد ذلك؛ ما ورد في القرآن من آياتٍ كثيرةٍ تحثّ على التفكير فيه وتدبُّره؛ يقول تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ)^١.
- ت. فيه بيان مقصود الله مما أورده في كتابه الكريم؛ وذلك فيه رضا الله -تعالى.
- ث. علم التفسير هو أحد العلوم التي تُنير لصاحبها وللناس طريقهم؛ لأنه يهتمّ بكتاب الله تعالى الحق، الذي لا يتطرق إليه الباطل، وفيه بيانٌ للأحكام؛ كالسنة والفرض، وقد نزل به الوحي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-.
- ج. علم التفسير فيه حث على الطاعة والعبادة، ونهي عن الباطل، وإخلاص النوايا لله -تعالى.
- ح. تزداد الحاجة إلى التفسير كلما تقدّم الزمان؛ لقصور الأمة وبعدها عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي اللغة العربية؛ فقد كان المسلمون العرب على علم بالقرآن ومعانيه، وقد كانوا يسألون النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما استشكل عليهم،
- خ. الطريق الموصل إلى تطبيق كلام الله -تعالى- في حياته؛ ولذلك قد جعله العلماء من فروع الكفاية؛ فوجود مفسرين في كل أمة هو أحد واجبات الدين، وقد كان من عادة المفسرين في بداية كتبهم أن يبيّنوا أهمية علم التفسير من خلال استشهادهم بالآيات التي تحثّ على التفكير والتدبُّر.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث لأن يأتي تقسيمه بعد المقدمة إلى مبحثين تليهما الخاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

أما المبحث الأول: فيتألف من مطالب كالآتي

(١) سورة ص. آية ٢٩

المطلب الأول : التعريف بالسورة

المطلب الثاني: التفسير اللغوي للسورة

المطلب الثالث: أسباب نزول السورة

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها و بعدها

المطلب الخامس: الأحكام المتعلقة بالسورة

المطلب السادس: اسم السورة

المطلب السابع: فضائل السورة

المبحث الأول التعريف بالسورة يدي

المطلب الأول : التعريف بالسورة

المطلب الثاني: التفسير اللغوي

المطلب الثالث: أسباب نزول السورة

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها و بعدها

المطلب الخامس: الأحكام المتعلقة بالسورة

المطلب السادس: فضائل السورة

المطلب السابع: اسم السورة

المطلب الأول: التعريف العام للسورة

ماورد بشأن السورة هو أنه

قد رَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ
الْآخِرَةَ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ»^١ قال ابن عاشور ((فَسَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ: «السَّمَاءِ
وَالطَّارِقِ» لِأَنَّ الْأَظْهَرَ أَنَّ الْوَأَوْ مِنْ قَوْلِهِ: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَأُو الْعَطْفِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُذَكَّرْ لَفْظُ الْآيَةِ
الْأُولَى مِنْهَا بَلْ أَخَذَ لَهَا اسْمًا مِنْ لَفْظِ الْآيَةِ كَمَا قَالَ فِي السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ الْبُرُوجِ: وَسُمِّيَتْ فِي كُتُبِ
التَّفْسِيرِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَفِي الْمَصَاحِفِ «سُورَةُ الطَّارِقِ» لِوُقُوعِ هَذَا اللَّفْظِ فِي أَوَّلِهَا. وَهِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ
آيَةً. وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ نَزَلَتْ قَبْلَ سَنَةِ عَشْرِ مِنَ الْبَعْثَةِ. خَرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي جَبَلٍ
الْعُدَوَانِيَّ: «أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصَا
حِينَ أَنَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ - الطَّارِقِ: حَتَّى خَتَمَهَا قَالَ:
«فَوَعَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ»^٢. وَعَدَّدَهَا فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّورِ السَّادِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ.
نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» وَقَبْلَ سُورَةِ: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ»^٣.

- (١) إسناده ضعيف، أبو المهزم - واسمُه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان - ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء وبكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال. مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤/١٤ ص ٧٨١
- (٢) إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني، فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الحسيني في "الإكمال": مجهول، وتعقبه الحافظ في "التعجيل" بقوله: صحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. قلنا: وله علة أخرى، وهي تفرد عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي به، وهو ضعيف يعتبر به في الشواهد والمتابعات، ولم يتابعه أحد هنا.
- وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٢٧٥) من طريق ابن أبي شيبه، بهذا الإسناد.
- وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٨/٣ - ١٣٩، وابن خزيمة (١٧٧٨)، والطبراني فيه "الكبير" (٤١٢٦) و (٤١٢٧) من طرق عن مروان بن معاوية، به.
- وأخرجه ابن أبي عاصم (١٢٧٤)، والطبراني (٤١٢٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ج ٣١/ص ٢٧٩
- (٣) التحرير والتنوير ج ٣٠/ص ٢٥٧

المطلب الثاني: تفسير اللغوي

الطارق: إسم فاعل وفعله طَرَقَ يَطْرُقُ مِنْ بَابِ قَعَدَ يَقْعُدُ والمصدر الطَّرْقُ و معنى طَرَقَ: قال ابن الفيومي ((كُلُّ مَا أَتَى لَيْلًا فَقَدْ طَرَقَ وَهُوَ طَارِقٌ))^١

دافق: إسم فاعل وفعله دَفَقَ يَدْفُقُ والمصدر الدَّفْقُ وقال عبدالغني (ومعنى دفق جَرَى الْمَاءُ

دَافِقًا مِنَ الصَّهْرِيجِ " : فَأَيْضًا مِنْ جَوَانِبِهِ، ذُو دَفْقٍ)^٢

الترائب : قال محمد النجار عِظَامَ الصَّدْرِ مِمَّا يَلِي التَّرْقُوتَيْنِ وَمَوْضِعَ الْقَلَادَةِ الْوَّاحِدَةِ (تربية)^٣

الرَّجْعُ: قال اليميني (المطر، وسمي رجعا؛ لأنه يرجع من السماء إلى الأرض بعد ما صعد إلى السماء،

قال الله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)^٤

الصدع: قال محمد نجار الشق في الشئ الصلْبِ^٥

رُوَيْدٌ: قال عبدالغني ر و د. "رُوَيْدَكَ : إِسْمٌ فِعْلٌ أَمْرٌ بِمَعْنَى أَمْهَلْ. "رُوَيْدَكَ الْوَلَدَ". "سَارَ الْقِطَارُ رُوَيْدًا

رُوَيْدًا" : مَهَلًا، وَتُعْرَبُ نَعْتًا مَنْصُوبًا. "رُوَيْدًا يَا وَلَدًا" : مَهَلًا، وَهِيَ هُنَا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْدُوفٍ.

فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا.^٦

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج ٢/ص ٣٧١

(٢) معجم الغني ص ١١٧١٥

(٣) المعجم الوسيط - ج ١/ص ٨٣

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ج ٤/ص ٢٤١٥

(٥) مصدر السابق ج ١/ص ٥١٠

(٦) معجم الغني ص ١٣٦٦٧

المطلب الثالث: سبب نزول السورة

((قال غازي عناية^١ الآية: ١ - ٣. قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ

النَّاقِبُ

«نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبْزٍ، وَلَبَنٍ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ انْحَطَّ نَجْمٌ فَامْتَلَأَ مَاءً ثُمَّ نَارًا، فَفَزِعَ أَبُو طَالِبٍ، وَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا!! فَقَالَ: هَذَا نَجْمٌ، رَمِيَ بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَعَجِبَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ

الآية: ٥. قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ قَالَ: نزلت في أبي الأشد، كان يقوم على الأديم، فيقول: يا معشر قريش، من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمدا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة»^٢.)

(١) الدكتور غازي حسين محمد عناية من مواليد قلقيلية شهر ٧ تموز عام ١٩٣٨ م. تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي والثانوي في مدارس قلقيلية الحكومية. وحصل على المتك (الثانوية العامة الاردنية) عام ١٩٥٨ م في المدرسة السعدية بقلقيلية، وحصل عام ١٩٥٩ م على التوجيهي المصري (الثانوية العامة المصرية)، والتحق بكلية الحقوق بجامعة دمشق وحصل منها على درجة بكالوريوس في الحقوق عام ١٩٦٦ م تابع الدكتور غازي تعليمه الجامعي، وحصل على ماجستير في الشريعة والقانون من كلية الحقوق - جامعة القاهرة عام ١٩٦٨ م، وعمل بين عامي ٦٩ - ١٩٧٠ مدرساً في المعهد العلمي الديني في مدينة البكرية في منطقة القصيم بالسعودية. وعيّن بعدها مفتشاً في وزارة المعارف في منطقة بيشة بالسعودية، واستمر كذلك حتى عام ١٩٧٣ م. الا ان طموحه لم ينتهي عند هذه الوظيفة، فعاد والتحق ثانية بجامعة القاهرة وحصل على الدكتوراه في الشريعة والقانون من كلية الحقوق فيها عام ١٩٧٨ م. وكان التخصص العام: القانون المالي والتشريع الضريبي. اما من حيث حياته العملية والتي تمتد الى نحو ثلاثين عاماً، فقد عمل الدكتور في سلك التدريس الجامعي الأكاديمي والبحث العلمي في الجامعات العربية والإسلامي.

(٢) أسباب النزول القرآني ج ١/ص ٤٠٦

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وبعدها

تنقسم إلى قسمين وهما

١ - مناسبة السورة لما قبلها ٢ - مناسبة السورة لما بعدها

فما يختص مناسبة السورة لما قبلها

((فقد قال المراغي مناسبة لما قبلها: ابتدت السورة بالحلف بالسماء كالسورة التي قبلها. أنه ذكر في السابقة تكذيب الكفار للقرآن، وهنا وصف القرآن بأنه القول الفصل، وفيه ردّ على أولئك المكذبين)).^١ ((وقال أبو بكر البقاعي: لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ، لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء ، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤلفين ، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق العلائق ، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له : (والسماء) أي ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ القرآن المجيد الحافظ لطريق الحق))^٢

((وقال أبو جعفر: لما قال تعالى في سورة البروج، والله على كل شيء شهيد". "والله من ورائهم محيط وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، ولا يفوته هارب أردف ذلك بتفصيل يزيد إيضاح ذلك التعريف الجملي من شهادته سبحانه على كل شيء وإحاطته به فقال: (إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (الطارق: ٤) . فأعلم سبحانه بخصوص كل نفس ممن يحفظ أنفاسها، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" (ق: ١٨) ليعلم العبد أنه ليس بمهل ولا مضيع، وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة وإحصائهم ولكن هي سنة حتى لا يبقى لأحد حجة ولا تعلق، وأقسم تعالى على ذلك تحقيقاً وتأكيداً. يناسب القصد المذكور.

(١): تفسير المراغي: ١٠٩ / ٣٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / ٣٨٥ / ٨

مناسبة السورة لما بعدها

وما يختص مناسبة السورة لما بعدها

((وذكر جلال الدين السيوطي ذكر خلق النبات والإنسان في قوله والأرض ذات الصدع ١٢ وقوله فليُنظر الإنسان مم خلق إلى إنه على رجعه لقادر ٦ ٨ وذكره في هذه السورة في قوله خلق فسوى ٢ وقوله في النبات والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ٣ ٤ وقصة النبات في هذه السورة أبسط كما أن قصة الإنسان هناك أبسط نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات))^١

المطلب الخامس: الأحكام المتعلقة بالسورة

أما أهم الأحكام المتعلقة بالسورة فقد قيل

سُورَةُ الطَّارِقِ فِيهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ:

الآية الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى : { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ } [الطارق: ٥ - ٦]:

أخذ من الآية المنى هل هي نجس أم طاهر؟

((ذكر محمد الطيار: فذهب الحنفية والمالكية إلى نجاسته.

وذهب الشافعية والحنابلة إلى طهارته وهو الراجح ودليل طهارة المنى ما يلي:

أولاً: أن الأصل في الأشياء الطهارة، فمن ادعى نجاسة شيء فعليه الدليل

(١) أسرار ترتيب القرآن ج/١/ص ١٤٩

ثانيًا: أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تفرك المني اليابس من ثوب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتغسل الرطب ، ولو كان نجسًا ما اكتفت فيه بالفرك بل كان لا بد من غسله كدم الحيض^(١)

الآية الثانية: ((يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)) [الطارق: ٩]:

((قال بكر بن العربي: يَعْنِي تُخْتَبَرُ الصَّمَائِرُ، وَتَكْشِفُ مَا كَانَ فِيهَا. وَالسَّرَائِرُ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ التَّكْلِيفِ وَالْأَفْعَالِ. : أَمَّا السَّرَائِرُ فَقَالَ مَالِكٌ فِي رِوَايَةٍ أَشْهَبَ عَنْهُ سَأَلَهُنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} أَبْلَعَكَ أَنَّ الْوُضُوءَ مِنَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ فِيمَا يَقُولُ النَّاسُ، فَأَمَّا حَدِيثُ أَخَذْتَهُ فَلَا. وَالصَّلَاةُ مِنَ السَّرَائِرِ، وَالصِّيَامُ مِنَ السَّرَائِرِ، إِنْ شَاءَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَلَمْ يُصَلِّ. وَمِنَ السَّرَائِرِ مَا فِي الْقُلُوبِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ. الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: ١٣، ١٤]. قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ هَزْلٌ وَإِنَّمَا هِيَ جَدُّ كُلُّهَا؛ فَلَا يَهْزِلُ أَحَدٌ بِعَقْدٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ إِلَّا وَيُنْفَذُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ فِي قَوْلِهِ هَزْلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْهَزْلَ مَحَلٌّ لِلْكَذِبِ، وَلِلْبَاطِلِ يُفْعَلُ، وَلِلْعَبِّ يُمْتَلَأُ.))

الآية الثالثة قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ

الآية الثالثة قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ} [الطارق: ١٣] {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: ١٤]: قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ هَزْلٌ، وَإِنَّمَا هِيَ جَدُّ كُلُّهَا؛ فَلَا يَهْزِلُ أَحَدٌ بِعَقْدٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ إِلَّا وَيُنْفَذُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ فِي قَوْلِهِ هَزْلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْهَزْلَ مَحَلٌّ لِلْكَذِبِ، وَلِلْبَاطِلِ يُفْعَلُ، وَلِلْعَبِّ يُمْتَلَأُ. وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا الْغَرَضَ فِي الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِيهِ وَفِي مَسَائِلِ الْفِقْهِ.^٣

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٨٨)

(٢) الفقه الميسر ج ١٣/ص ٤٩

(٣) أحكام القرآن ج ٤/ص ٣٧٥

المطلب السادس فضائل السورة

ورد في فضل السورة أنه حثَّ الرسول الكريم معاذاً بن جبل على قراءتها في صلاة العشاء؛ تخفيفاً ودرءاً للعبء على المصلين حين صَلَّى بهم وقرأ من طوال السور كما جاء في الحديث المعروف بـ: «أفتان أنت يا معاذ وجاء فيه: ((إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال له: اقرأ بـ"السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ" وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا" وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى))»^١

و جاء في فضل سورة الطارق قراءة الرسول لها في صلاتيَّ العصر والظهر فقد ورد أنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - كانَ يقرأُ في الظُّهرِ والعصرِ بـ"السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ" ، "والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ" ونحوهما من السُّور))^٢

فضل قراءة سورة

ورد عن أبي عبد الله رضي الله عنه انه ، قال : «من كانت قراءته في فرائضه {السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١] ، كانت له يوم القيامة عند الله جاه ومنزلة ، وكان من رفقاء المؤمنين وأصحابهم في الجنة»^٣

كما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ، أنه قال : «من قرأ هذه السورة كتب الله له عشر حسنات بعدد كلِّ نجم في السماء ، ومن كتبها وغسلها بالماء ، وغسل بها الجراح لم ترم ، وإن قرئت على شيء حرسه وأمن صاحبه عليه»^٤

١) صحيح ابن حبان رقم ٢٤٠٠

٢) صحيح أبي داود رقم ٨٠٥ قال حديث حسن صحيح

٣) ثواب الأعمال، ص ١٢٥

٤) تفسير البرهان ج ٨/ص ٢٥٦

المطلب السابع: اسم السورة

أسماء سورة الطارق

الإسم الأول سورة الطارق من أسماء هذه السورة فقد وردت أسماءها كالآتي :

((قال أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله))^١

الإسم الثاني سورة ((والسما والطارق))

((قال أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي))^٢

الإسم الثالث

(قال ابن عاشور: والدليل روى أحمد بن حنبل عن أبي هريرة: = أن رسول الله " كان يقرأ في العشاء

الآخرة بالسما ذات البروج والطارق.

فسماها أبو هريرة (السما والطارق) لأن الأظهر أن الواو من قوله والسما والطارق واو العطف،

ولذلك لم يذكر لفظ الآية الأولى منها، بل أخذ لها اسماً من لفظ الآية كما قال في (السما ذات

البروج).^٣

مناسبة التسمية:

لأن الله تعالى افتتح السورة بالقسم بالطارق وهو النجم اللامع.^٤

((قال محمد الطاهر بن عاشور وسميت في كتب التفسير، وكتب السنة، وفي المصاحف (سورة الطارق)

لوقوع هذا اللفظ في أولها.))^٥

١ (لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج/٤ ص ٧٣٤)

٢ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج/ص ١٣٧)

٣ (التحرير والتنوير ص ٣٣٥)

٤ (أول مرة أتدبر القرآن ج/١ ص ٢٨٨)

٥ (التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ص ٣٧٥)

المبحث الثاني

مطلب الأول: تفسير سورة الطارق

المطلب الثاني: الإعجازات العلمية للسورة

مطلب الثالث: لوجوه البلاغية في سورة الطارق

المطلب الأول: تفسير سورة الطارق

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قال القرطبي الآيات ١ الى ٣ (في قوله تعالى)

((وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)

قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) قسمان: السَّمَاءِ قسَم، والطَّارِقِ قَسَمٌ. وَالطَّارِقُ: النَّجْمُ. وَقَدْ بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ). النَّجْمُ الثَّاقِبُ. وَاخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ زُحَلُ: الْكَوْكَبُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^١ فِي تَفْسِيرِهِ، وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّهُ الثُّرَيَّا. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ زُحَلُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ. ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْجَدْيُ. وَعَنْهُ أَيْضًا وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَالْفَرَّاءُ: النَّجْمُ الثَّاقِبُ: نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُهُ مِنَ النُّجُومِ، فَإِذَا أَخَذَتِ النُّجُومُ أَمَكِنَتَهَا مِنَ السَّمَاءِ، هَبَطَ فَكَانَ مَعَهَا. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَهُوَ زُحَلُ، فَهُوَ طَارِقٌ حِينَ يَنْزِلُ، وَطَارِقٌ حِينَ يَصْعَدُ. وَحَكَى الْفَرَّاءُ: ثَقَبَ الطَّائِرُ: إِذَا ارْتَفَعَ وَعَلَا. وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا مَعَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَحْطَطَ بِنَجْمٍ، فَأَمْتَلَأَتِ الْأَرْضُ نُورًا، فَفَزِعَ أَبُو طَالِبٍ، وَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ فَقَالَ: "هَذَا بِنَجْمٍ رُمِيَ بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ" فَعَجِبَ أَبُو طَالِبٍ، وَنَزَلَ: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ قَالَ: السَّمَاءُ (٢) وَمَا يَطْرُقُ فِيهَا. وَعَنْ

ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ: الثَّاقِبُ: الَّذِي تُرْمَى بِهِ الشَّيَاطِينُ. فَتَادُهُ: هُوَ عَامٌّ فِي سَائِرِ النُّجُومِ، لِأَنَّ طُلُوعَهَا بَلِيلٌ، وَكُلُّ مَنْ أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ. قَالَ:

فَالطَّارِقُ: النَّجْمُ، اسْمٌ جِنْسٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ لَيْلًا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الْمُسَافِرُ أَهْلَهُ لَيْلًا، كَيْ تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ، وَمَتَشِطَّ الشَّعْثَةَ^٢ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ قَاصِدٍ فِي اللَّيْلِ طَارِقًا.

١ (لعل المراد به: أبو بكر العطار: محمد بن الحسن بن مقسم.

٢ زيادة عن الطبري

(٣) الاستحداد: حلق العانة بالحديد. والمغيبة: التي غاب عنها زوجها. والشعثة: التي تلبد شعرها.

يُقَالُ: طَرَقَ فُلَانٌ إِذَا جَاءَ بِلَيْلٍ. وَقَدْ طَرَقَ يَطْرُقُ

طُرُوقًا، فَهُوَ طَارِقٌ. وَابْنُ الرُّومِيِّ: ^١

الْمُشِيرِيُّ: وَالْمُعْظَمُ عَلَى أَنَّ الطَّارِقَ وَالتَّاقِبَ اسْمٌ جِنْسٍ أُرِيدَ بِهِ الْعُمُومُ ^٢، كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ

مُجَاهِدٍ. (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ) تَفْخِيمًا لِشَأْنِ هَذَا الْمُتَسَمِّ بِهِ. وَقَالَ سُفْيَانُ: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ وَمَا

أَدْرَاكَ؟ فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ " وَمَا يُدْرِيكَ " : لَمْ يُخْبِرْهُ بِهِ. ^٣

((قال النسفي آية ٤ { إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } وَجواب القسم { إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ }
{ [الطارق : ٤] } لأن { لَّمَّا } إن كانت مشددة بمعنى " إلا " كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون
" إن " نافية أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون " إن " مخففة
من الثقيلة أي إن كل نفس لعلها حافظ يحفظها من الآفات ، أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها ، فإذا
استوفى ذلك مات.

وقيل : هو كاتب الأعمال ف " ما " زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة ، و { حَافِظٌ } مبتدأ و {
عَلَيْهَا } الخبر ، والجملة خبر { كُلُّ } وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم.))^٤
((قال الطبري آية ٥ وَقَوْلُهُ: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ } [الطارق: ٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ الْمُكَدَّبُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْمُنْكَرُ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ { مِمَّ خُلِقَ }
[الطارق: ٥] يَقُولُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ؟ ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا خَلَقَهُ مِنْهُ،))^٥

(١) لم نعر على هذين البيتين في ديوان ابن الرومي. وقد أورد الجاحظ البيت الأول في كتابه (الحيوان ج ٦ ص ٥٠٨ طبع مطبعة الحلبي) غير منسوب. ولم يعرف أن الجاحظ يستشهد بشعر ابن الرومي. وقد توفي الجاحظ وكانت سن ابن الرومي ٣٤ على أن هذا الشعر ليس من روح ابن الرومي. وقد أورد أيضا الغزالي في (الأحياء ج ٣ ص ١٨٠ طبع الحلبي) البيت الأول ضمن ستة أبيات من وزنه وقافيته.

(٢) أي لم يرد به نجم معين، كالشريا أو زحل، كما قال بعض المفسرين.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج/٢٠/ ص ١

(٤) : تفسير النسفي ج/٤/ص/٢٦٧

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج/٢٤/ ص ٢٩٢

وقال الرازي في آية (٦)(٧) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) وَفِيهِ مَسَائِلُ:

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: الدَّفِقُ صَبُّ الْمَاءِ، يُقَالُ: دَفَقْتُ الْمَاءَ، أَي صَبَبْتُهُ وَهُوَ مَدْفُوقٌ، أَي مَصْبُوبٌ، وَمُنْدَفِقٌ أَي مُنْصَبٌّ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَاءُ مَدْفُوقًا اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ لَمْ يُصَفَ بِأَنَّهُ دَافِقٌ عَلَى وُجُوهِ الْأَوَّلِ: قَالَ الرَّجَّاحُ: مَعْنَاهُ ذُو انْدِفَاقٍ، كَمَا يُقَالُ: دَرَّاعٌ وَفَارِسٌ وَنَابِلٌ وَلَابِنٌ وَتَامِرٌ، أَي دَرَعَ وَفَرَسَ وَنَبَلَ وَلَبَنَ وَتَمَرَ، وَذَكَرَ الرَّجَّاحُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ سَبِيئِيهِ الثَّانِي: أَنَّهُمْ يُسَمُّونَ الْمَفْعُولَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَأَهْلُ الْحِجَازِ أَفْعَلٌ لِهَذَا مِنْ غَيْرِهِمْ، يَجْعَلُونَ الْمَفْعُولَ فَاعِلًا إِذَا كَانَ فِي مَذْهَبِ النَّعْتِ، كَقَوْلِهِ سِرٌّ كَاتِمٌ، وَهَمَّ نَاصِبٌ، وَلَيْلٌ نَائِمٌ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى:

فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ [القارعة: ٧] ي مَرْضِيَةٍ الثَّلَاثُ: ذَكَرَ الْخَلِيلُ فِي الْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ دَفَقَ الْمَاءُ دَفْقًا وَدَفُوقًا إِذَا انْصَبَّ بِمَرَّةٍ، وَانْدَفَقَ الْكُوزُ إِذَا انْصَبَّ بِمَرَّةٍ، وَيُقَالُ فِي الطَّيْرَةِ عِنْدَ انْصِبَابِ الْكُوزِ وَنَحْوِهِ: دَافِقٌ حَيْرٌ، وَفِي كِتَابِ قَطْرِبٍ: دَفَقَ الْمَاءُ يَدْفُقُ إِذَا انْصَبَّ الرَّابِعُ: صَاحِبُ الْمَاءِ لَمَّا كَانَ دَافِقًا أُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَى الْمَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: فَرِيءُ الصُّلْبِ بِفَتْحَتَيْنِ، وَالصُّلْبُ بِضَمَّتَيْنِ، وَفِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ: صُلْبٌ وَصَلْبٌ وَصُلْبٌ وَصَالِبٌ.

المَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ: تَرَائِبُ الْمَرْأَةِ عِظَامٌ صَدْرُهَا حَيْثُ تَكُونُ الْقِلَادَةُ، وَكُلُّ عَظْمٍ مِنْ ذَلِكَ تَرِبَةٌ، وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

تَرَائِبُهَا مَصْفُوقَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ لِمَسْأَلَةِ الرَّابِعَةِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِهِ، وَاحْتَجَّ صَاحِبُ الْقَوْلِ الثَّانِي عَلَى مَذْهَبِهِ بِوَجْهَيْنِ الْأَوَّلِ: أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ خَارِجٌ مِنَ الصُّلْبِ فَقَطْ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ خَارِجٌ مِنَ التَّرَائِبِ فَقَطْ، وَعَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ لَا يَخْصُلُ هُنَاكَ مَاءٌ خَارِجٌ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، وَذَلِكَ عَلَى خِلَافِ الْآيَةِ الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ وَالَّذِي يُوصَفُ بِذَلِكَ هُوَ مَاءُ الرَّجُلِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِأَنَّ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يَخْرُجُ، يَعْنِي هَذَا الدَّافِقُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ فَقَطْ أَجَابَ:

القَائِلُونَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ عَنِ الْحُجَّةِ الْأُولَى: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلشَّيْئَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ: أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَلِأَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمَا يَصِيرَانِ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَحَسُنَ هَذَا اللَّفْظُ هُنَاكَ،

وَأَجَابُوا عَنِ الْحُجَّةِ الثَّانِيَةِ: بِأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ، فَلَمَّا كَانَ أَحَدُ قِسْمِي الْمَنِيِّ دَافِقًا أُطْلِقَ هَذَا الْإِسْمُ عَلَى الْمَجْمُوعِ، ثُمَّ قَالُوا: وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَجْمُوعِ الْمَاءَيْنِ أَنَّ مَنِيَّ الرَّجُلِ وَحَدَهُ صَغِيرٌ فَلَا يَكْفِي، وَلِأَنَّهُ رُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا غَلَبَ مَاءُ الرَّجُلِ يَكُونُ الْوَلَدُ ذَكَرًا وَيَعُودُ شَبَهُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَقَارِبِهِ، وَإِذَا غَلَبَ مَاءُ الْمَرْأَةِ فَالْوَلَدُ فَالْمَرْأَةُ وَإِلَى أَقَارِبِهَا يَعُودُ الشَّبَهُ» وَذَلِكَ يَقْتَضِي صِحَّةَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

وَعَلِمَ أَنَّ الْمُلْحِدِينَ طَعَنُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالُوا: إِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ أَنَّ الْمَنِيَّ إِنَّمَا يَنْفَصِلُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنْ فَضْلَةِ الْهَضْمِ الرَّابِعِ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ غَضْوٍ طَبِيعَتَهُ وَخَاصِّيَّتَهُ، فَيَصِيرُ مُسْتَعِدًّا لِأَنَّ يَتَوَلَّدَ مِنْهُ مِثْلُ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمُفْرَطَ فِي الْجَمَاعِ يَسْتَوِي الضَّعْفُ عَلَى جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ مُعْظَمَ أَجْزَاءِ الْمَنِيِّ يَتَوَلَّدُ هُنَاكَ فَهُوَ ضَعِيفٌ، بَلْ مُعْظَمُ أَجْزَائِهِ إِنَّمَا يَتَرْتَبِ فِي الدِّمَاغِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ صُورَتَهُ يُشْبِهُ الدِّمَاغَ، وَلِأَنَّ الْمُكْتَبِرَ مِنْهُ يَظْهَرُ الضَّعْفُ أَوَّلًا فِي عَيْنَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ مُسْتَقَرَّ الْمَنِيِّ هُنَاكَ فَهُوَ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ مُسْتَقَرَّ الْمَنِيِّ هُوَ أَوْعِيَةُ الْمَنِيِّ، وَهِيَ عُرُوقٌ مُلْتَفٌّ بَعْضُهَا بِالْبَعْضِ عِنْدَ الْبَيْضَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ مَخْرَجَ الْمَنِيِّ هُنَاكَ فَهُوَ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ الْحِسَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ الْجَوَابُ: لَا شَكَّ أَنَّ أَعْظَمَ الْأَعْضَاءِ مَعُونَةٌ فِي تَوَلِيدِ الْمَنِيِّ هُوَ الدِّمَاغُ، وَالدِّمَاغُ خَلِيفَةُ وَهِيَ النَّخَاعُ وَهُوَ فِي الصُّلْبِ، وَلَهُ شُعَبٌ كَثِيرَةٌ نَارِظَةٌ إِلَى مُقَدِّمِ الْبَدَنِ وَهُوَ التَّرْبِيَةُ، فَلِهَذَا السَّبَبِ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَيْنِ الْعَضْوَيْنِ بِالذِّكْرِ، عَلَى أَنَّ كَلَامَكُمْ فِي كَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ الْمَنِيِّ، وَكَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَنِيِّ مَخْضُ الْوَهْمِ وَالظَّنِّ الضَّعِيفِ، وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلِي بِالْقَبُولِ.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَدْ بَيَّنَّا فِي مَوَاضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ دَلَالََةَ تَوَلُّدِ الْإِنْسَانِ عَنِ النُّطْفَةِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْمُخْتَارِ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ، لِوُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ التَّرَكِيبَاتِ الْعَجِيبَةَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ أَكْثَرُ، فَيَكُونُ تَوَلُّدُهُ عَنِ الْمَادَّةِ الْبَسِيطَةِ أَدَلَّ عَلَى الْقَادِرِ الْمُخْتَارِ وَثَانِيهَا: أَنَّ إِطْلَاقَ الْإِنْسَانِ عَلَى أَحْوَالِ نَفْسِهِ أَكْثَرُ مِنْ إِطْلَاقِهِ عَلَى أَحْوَالِ غَيْرِهِ، فَلَا جَرَمَ كَانَتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ أَمَّ وَثَالِثُهَا: أَنَّ مُشَاهَدَةَ الْإِنْسَانِ لِهَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ دَائِمَةٌ، فَكَانَ الْإِسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى الصَّانِعِ الْمُخْتَارِ أَقْوَى وَرَابِعُهَا: وَهُوَ أَنَّ الْإِسْتِدْلَالَ بِهَذَا الْبَابِ، كَمَا أَنَّهُ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْمُخْتَارِ الْحَكِيمِ، فَكَذَلِكَ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى صِحَّةِ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ حُدُوثَ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا كَانَ

بِسَبَبِ اجْتِمَاعِ أَجْزَاءِ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي بَدَنِ الْوَالِدَيْنِ، بَلْ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ، فَلَمَّا قَدَرَ الصَّانِعُ عَلَى جَمْعِ
تِلْكَ الْأَجْزَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ حَتَّى خَلَقَ مِنْهَا إِنْسَانًا سَوِيًّا، وَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَتَفَرُّقِ أَجْزَائِهِ لَا
بَدُّ^١

((قال البغوي آية (٨) (٩) (إنه على رجعه لقادر) قال مجاهد على رد النطفة في الأحليل وقال
عكرمة على رد الماء في الصلب ال ذي خرج منه وقال الضحاك إنه على رد الإنسان ماء كما كان من
قبل لقادر وقال مقاتل بن حيان إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى
النطفة وقال ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج وقال قتادة إن الله تعالى على بعث
الإنسان وإعادته بعد الموت قادر وهذا أولى الأقاويل الطارق: (٩) يوم تبلى السرائر لقوله (يوم
تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا قال قتادة ومقاتل تختبر قال عطاء بن أبي
رباح السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاعتسال من الجنابة فإنها سرار بين الله تعالى
وبين العبد فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل اغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى
يظهر من أداها ممن ضيعها قال ابن عمر بيدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه
وشينا في وجوه يعني من أداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر))^٢

((قال الزمخشري آية ١٠ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)

فَمَا لَهُ فَمَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ قُوَّةٍ مِنْ مَنْعَةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ بِهَا وَلَا نَاصِرٍ وَلَا مَانِعٍ يَمْنَعُهُ.))^٣

((قال ابن كثير في آية ١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧ {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ
ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٌ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ
رُؤْيَدًا}}

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج/٢١ ص ١٢١

(٢) تفسير البغوي ج/٤/ص ٤٧٤

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج/٤/ص ٧٣٥

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وعنه { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ } تمطر ثم تمطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم، وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا { وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد. وقوله تعالى: { إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ } قال ابن عباس: حق، وكذا قال قتادة، وقال آخر: حكم عدل { وَمَا هُوَ بِأَهْزَلُ } أي بل هو جد حق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا } أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى: { فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ } أي أنظرهم ولا تستعجل لهم { أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَاً } أي قليلاً أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: { نَمَتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتَهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ }.

آخر تفسير سورة الطارق، والله الحمد والمنة.))^١

(١) تفسير القرآن العظيم ج/٤/ص ٦٠٥

المطلب الثاني: الإعجازات العلمية للسورة

ماورد شيخان الإعجازات لهذة السورة

((قال محمد كامل عبد الصمد يقسم الخالق بأحداث كونية عظيمة يقول سبحانه عز من قال: (وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ) (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) يقسم بالسماء والطارق.

ومن يستمع إلى هذا القسم لن يعرف لأول وهلة من هو؟ أو ما هو المقصود بالطارق؟ ولذلك عرفنا العليّ القدير بأنه نجم ثاقب.

فكيف يكون النجم طارق وثاقب؟ وهل هناك تفسير علمي لذلك؟

لقد درج المفسرون على تفسير أشعة النجم بأنها ثاقبة نافذة أما صفة الطرق فقلما تعرض لها أحد. والقسم الثاني يخص بظاهرة فلكية أخرى وهي ظاهرة النجم الهوي. وهنا لا بد أن نفرق بين هذه الظاهرة وظاهرة الشهاب (Meteor) الساقط التي تعد ظاهرة يومية لكثرة حدوثها. فالشهاب تدخل يومياً في الغلاف الجوي ثم تحترق عندما ترتفع درجة حرارتها لاحتكاكها بالهواء الجوي وبعضها يسقط على الأرض.

ولو أراد الخالق أن يقسم بها لأقسم إلا ان جاء ذكر الشهاب في أكثر من مكان في القرآن (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُمِثَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا) فلم يقسم سبحانه بظاهرة الشهاب الساقط وأقسم بظاهرة النجم الهاوي لماذا؟؟. النجوم النيوترونية تزداد كتلتها عن كتلة الشمس بما يقارب ٤ ، ١ .

بداية عندما يبدأ النجم بالأهتبار على نفسه ينكمش بسرعه ويزيد الضغط على ذرات مادة فتنحطم الذرات ويتكون المائع الألكتروني ويزداد سمكه فيبقى عاجزاً عن تحمل الضغط الناتج من ثقل النجم وجاذبيته وتكون النتيجة أن تسحق جاذبية النجم "المائع الألكتروني" كما سحقته من قبل قشرة الذرة ويستمر إهتبار العملاق الأحمر على نفسه .. فتلتصق الألكترونات بالبروتينات ثم تتحد معها مكونة نيوترونات جديدة ، وتبدأ طبقات النجم وهي تنهار في التطلع إلى منقذ ينقذها من برائن هذا الوحش المسمى بقوة ثقل النجم والذي يسحق كل ما يجده أمامه وفي النهاية تتحد كل الألكترونات بالبروتينات فيصبح النجم عبارة عن نيوترونات منضغطة على بعضها بدون وجود أي فراغ فتصل

كثافة النجم إلى رقم قياسي يصعب تصوره ويتقلص العملاق الأحمر إلى ما يسمى بالنجم النيوتروني (Pulsars) فكرة من المادة النيوترونية في حجم كرة القدم يبلغ وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض أو على أي جرم سماوي آخر فلن يتحمل سطحه هذا الوزن الهائل فتسقط الكرة خلال الأرض أو خلال الجرم السماوي تاركا وراءه ثقباً يتناسب مع حجمه. وقصة إكتشاف النجم النيوتروني قصة طريفة ففي سنة ١٩٦٨ التقطت طالبة أمريكية إشارات لاسلكية من خارج الأرض بواسطة جهاز جديد يسمى بالتلسكوب للاسلكي أو المذياعي (Radio telescope) وهو جهاز يلتقط الإشارات اللاسلكية من أعماق السماء ومن مسافات تقدر بملايين السنين فقد تمكن الفلكيون في أوائل السبعينات من رصد عدة نجوم كلها تشترك في خاصية إرسال إشارات لاسلكية منتظمة وعلى درجة كبيرة من الدقة فالإشارات تصل على صورة متقطعة: بيب ... بيب ... بيب وتستمر كل إشارة منها كسورا من الثانية وتكرر كل ثانية أو أكثر ومن أطلق على النجوم التي تصدر هذه الإشارات اسم لنجوم النابضة النجم الطارق الثاقب آية من آيات الله العظيمة يقسم سبحانه بها (وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ) فالطارق هو جرم سماوي له صفتان أخرى وهما النجم والثاقب ولو قارنا بين تلك الخواص واي جرم سماوي لوجدنا أن النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص نجم و طارق و ثاقب .. له نبضات وطرقات منتظمة فالطارق يصدر طرقات منتظمة متقطعة تك .. تك .. تك تشابه تما تلك البيبات التي نقلها لنا اللاسلكي والتي كان مصدرها النجم النيوتروني وقد تصل العلماء ان النجم النيوتروني عقب مولد له نبضات سريعة لسرعة دورانه وسرعة طاقته وان النجم النيوتروني العجوز له إشارات بطيئة على فترات أطول وذلك عندما تقل طاقته وتنقص سرعة دورانه فسبحان الله العظيم حين خص هذا النجم بالثاقب وأقسم به فمن عظمة القسم ندرك عظمة المقسوم به فكثافة النجم الثاقب النيوتروني أعلى كثافة معروفة للمادة ووزنه يزيد عن وزن الكرة الأرضية برغم صغير حجمة فهو ثاقب والآن فالنتصور ماذا يحدث للأرض او لأي جرم سماوي آخر إذا وضع هذا النجم عليه او اصطدم به فلن تصمد أمامه أي الاجرام كانت ولا حتى الشمس والسبب انه ذو كثافة مهولة .. وقد قدر عدد النجوم النيوترونية في مجرتنا بمائة ألف نجم ومن الطبيعي أن تحتوي بلايين المجرات الأخرى على مئات الآلاف من النجوم النيوترونية الطارقة الثاقبة فالسماء إذن تمتلئ بها ومن هنا جاء القسم ليؤكد سبحانه بهذا القسم (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) فكل نفس موكل أمرها لحافظ يراقبها ويحصي عليها ويحفظ

عنها .. فسبحان الله هناك أوجه التشابه بين الحافظ وبين الطارق نجد صورة حية جديدة من الاعجاز القرآني فوصف النجم النيوتروني الذي لم يكشف إلا حديثا بهذه الدقة بكلمات قليلة تعد على الاصابع اليد الواحدة انه نجم طارق ثاقب لا يمكن ان تصدر إلا من خالق هذا الكون فلو حاول الانسان مهما بلغ علمه وإدراكه وصف أو حتى تعريف ظاهرة النجم النيوتروني لا حتاج لأسطر وصفحات لتعريف هذا المخلوق .. وبعد ان يخبرنا المولى سبحانه عن هذا النجم ويقسم به يعود بنا الى النفس البشرية ويذكرنا بالحافظ الذي وكله الحفيظ الرقيب على كل نفس يحصي ما لها وما عليها حتى نبضها فالتشابه بين الحافظ الذي يحصى كل صغيرة وكبيرة في دقة متناهية وبين الطارق الذي تطوى دقاته أقطار السماء لتصل إلينا في دقة متناهية ، والتشابه بين الحافظ الرقيب الذي لا تخفى عليه خافية من خبايا النفس البشرية ولا سر من أسرارها وبين الثاقب الذي لا تستطيع أي مادة أو أي نجمة مهما بلغ حجمها والسماء وطارقها إنما هو الواحد القهار الذي لا تخفى عليه خافية والذي يحيط علمه بكل صغيرة وكبيرة ... فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين))^١

قال محمد راتب النابلسي والسماء ذات الرجوع

يقول ربنا سبحانه وتعالى: {والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق: ١١-١٢] . هذا خالقُ الكونِ يصفُ السماءَ بِكَلِمَةٍ واحدةٍ: {والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} ، وكلِّمًا تقدَّم العلمُ اكتُشِفَتْ حقائقٌ جديدةٌ تدعُمُ هذا الوصفَ الموجزَ المعجزَ، فالقمرُ يسيرُ في مدارٍ حولَ الأرضِ، يذهبُ، ثمَّ يرجعُ إلى مكانه الأولِ، والشمسُ تجري لمستقرَّ لها في مدارٍ حولَ نجمٍ آخرَ، وتعودُ إلى مكانها السابقِ، والمذنباتُ أيضًا، فمذنب هالي مثلاً زارَ الأرضَ في عام (١٩١٠) بالضبطِ، وعادَ إلينا في عام (١٩٨٦) ، تستغرقُ دورتهُ سِتَّةً وسبعينَ عامًا، فالأرضُ تدورُ وترجعُ، والقمرُ يدورُ، ويرجعُ، والشمسُ تدورُ وترجعُ، والمذنباتُ تدورُ وترجعُ، وكلُّ ما في السماءِ يدورُ في فَلَكٍ يَبْضُويُّ أو إهليلجيٍّ ويرجعُ، إذًا ربُّنا سبحانه وتعالى حينما وَصَفَ السماءَ بِكَلِمَةٍ واحدةٍ قال: {والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} ، وهذا وَصْفٌ خالِقها الحقُّ، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقينَ.

(١) الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ص/٢٩

أَجَّهَ العلماءُ أبحاثَهُمْ آخِرَ، هذه الغازاتُ التي أودَعَهَا اللهُ في الأجواءِ ذاتِ رجوعٍ، فهذا الأكسجينُ الذي يستنشقه الإنسانُ ينفثه غازَ فحمٍ، ثمَّ يأخذه النباتُ، فينفثه أكسجيناً، إذاً حتى الغازاتُ لها دورةٌ طبيعيةٌ؛ من أكسجين، إلى غازِ الفحمِ، إلى أكسجين.

اتجاه ثالث، إذا أُرسِلت إلى السماءِ أمواجاً كهرومغناطيسيةً فإنها ترجعُ، والبثُّ اليومَ يقومُ على هذا المبدأ. اتجاه رابع، إذا صعدَ بخارُ الماءِ إلى السماءِ يرجعُ أمطاراً، يقول ربُّنا عز وجل: {والسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ}

إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجِعُ بُخَارَ الْمَاءِ أَمْطَاراً، وتُرْجِعُ الْأَمْوَاجَ الْكَهْرَبِيَّةَ بَثّاً، وترجعُ الغازاتُ في تقلباتها إلى ما كانت عليه، وكلُّ ما في السماءِ يرجعُ إلى مكانه الأولِ، لأنَّه يدورُ ويسيرُ، ويتحرَّكُ في مسارٍ دائريٍّ أو بيضويٍّ، فحينما يقول ربُّنا عز وجل بإيجازٍ عجيبٍ: {والسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ} معنى ذلك أنَّ هذا الكلامَ قرآنٌ من عند خالقِ الأكوان، وتشعرُ أنَّ هذا وصفُ الله تعالى، وصفُ الخالقِ، ووصفُ الصانعِ.

والشيءُ الآخرُ، أنَّك لو أردتَ أن تصِفَ الأرضَ بِصِفَةٍ شاملةٍ جامعةٍ مانعةٍ لم تُقدِرْ، وقد وصفَها اللهُ بوصفٍ جامعٍ مانعٍ فقال: {والأرضُ ذَاتِ الصَّدْعِ}. إنَّ القاراتِ كانت متصلةً فتصدَّعتْ، لأنَّ الصُّخورَ تتصدَّعُ، والأحجارَ تتصدَّعُ، بل إنَّ أدقَّ الجزئياتِ تتصدَّعُ، فإذا ذهبتَ لِتَصِفَ الأرضَ بِصِفَةٍ ثابتةٍ منذ أن خلقها اللهُ، وحتى نهايةِ الحياةِ قلت: إنها تتصدَّعُ: {والسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ* والأرضُ ذَاتِ الصَّدْعِ}، فكيف هو الصَّدْعُ إذا؟ الأرضُ طبقاتٌ، أمسك بيضةً، هناك القشرةُ الكلسيةُ، والقشرةُ الرقيقةُ، وبياضُ البيضةِ، وصفارُها، غيرَ أنَّ أقسى هذه الطبقاتِ الطبقاتِ الخارجيّةُ، وكلِّما نزلنا إلى أعماقِ الأرضِ تصبحُ هذه الطبقاتُ أقلَّ صلابةً، إلى أن تصبحَ لزجةً، إلى أن تصبحَ مائعةً مضطربةً، وهذه النظريةُ أصبحت حقيقةً، فكلِّما أجهنا نحو بطنِ الأرضِ ضعفتِ الصلابةُ، وارتفعتِ الحرارةُ، أمَّا حول مركزِ الأرضِ فتمةً اضطرابٌ عجيبٌ لِمائعٍ ناريٍّ، وقد أشارَ القرآنُ إلى ذلك، قال تعالى: {أءَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك: ١٦].

ومعنى تمورُ، أي تضطربُ اضطرابَ المائعِ، إننا نعلمُ بالاستقرارِ على ظهرها، بصلابتها، بقوتها، بنائها شامخاً على أساسٍ متينٍ، ولو أنَّ هذه الأرضَ خُسِفَتْ بنا ووصلنا إلى أعماقها لأصبحنا على مائعٍ ناريٍّ مضطربٍ يمورُ، قال تعالى: {أءَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ}.

فَمَنْ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ بَأَنَّ فِي بَاطِنِ هَذِهِ الْأَرْضِ مَائِعًا نَارِيًّا مُضْطَرِبًا؟
أليس هذا القرآنُ كلامَ الله عز وجل؟.

إذا وقفتَ عند الآياتِ الكونيَّةِ في القرآنِ وجدتَ أنَّه كلما تقدَّمتُ بك الدراساتُ التقيتُ مع وصفِ
اللهِ الموجزِ، ومع وصفِ الله المعجزِ، ومع وصفِ الله البلي
«سورة والسَّماء والطَّارِق» (٨٦)

قال زغلول النجار ماهية النجوم؟

النجوم هي مصابيح السماء الدنيا، وهذه المصابيح السماوية عبارة عن أجرام غازية في غالبيتها،
ضخمة الحجم، ولكنها تبدو لنا ضئيلة لتعاظم أبعادها عنا، فأقرب النجوم إلينا وهي الشمس تبعد عنا
بنحو مائة وخمسين مليون كيلومتر (١٤٩.٦ مليون كيلومتر)، وأقرب نجوم مجرتنا إلينا بعد الشمس
واسمه «أقرب المراكز» أو «الأقرب القنطوري» (Proxima Centauri) يقدر بعده عنا بأكثر
من أربعة آلاف مليون مليون كيلومتر (٤.٣ من السنين الضوئية)، ومن النجوم ما يبعد عنا بأكثر من
عشرة بلايين من السنين الضوئية.

وقد أحصى علماء الفلك من النجوم أكثر من سبعين بليون تريليون نجم إلى يومنا الراهن في الجزء
المدرَك من السماء. والنجوم أجرام سماوية شديدة الحرارة، ملتهبة، مشتعلة، ومضيئة بذاتها، يغلب على
تركيبها غاز الإيدروجين، ويليه في الكثرة غاز الهيليوم، والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزنا،
وتحتوي مادة النجم الغازية (في أغلبها) بعملية التجاذب الداخلي إلى مركز النجم، وهي العملية الناتجة
عن دوران النجم حول محوره، وتؤدي هذه العملية إلى اتحاد نوى ذرات الإيدروجين مع بعضها البعض
بالاندماج النووي (Nuclear Fusion)، وينطلق عن ذلك كميات هائلة من الطاقة على هيئة
عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي من أهمها الضوء والحرارة. ويؤدي تسلسل عملية الإندماج
النووي من عنصر إلى آخر، إلى تكوين عناصر أعلى في وزنها الذري باستمرار، مما ينتهي إلى تعقيد كل
من التركيب الكيميائي والبناء الداخلي للنجم، الذي يتقلص حجمه بالتدريج وتزداد كثافته بطريقة

مطرده، وترتفع درجة حرارته باستمرار، فيمر بذلك في عدد من الأطوار المتتالية حتى نهاية حياته، وتسمى هذه المراحل المتتالية باسم دورة حياة النجوم.^١

(١) السماء في القرآن الكريم ٢٥٥/٤

المطلب الثالث: لوجوه البلاغية في سورة الطارق

قال محيي الدين في البلاغ: ^١

١- في قوله «من بين الصلب والترائب» طباق، فقد طابق بين عظم الظهر وعظم الصدر وأفرد الأول وجمع الآخر لأن صدر المرأة هو تربيتها فيقال للمرأة ترائب يعني بها التريبة وما حواليتها وما أحاط بها وكذلك تقول العرب: رأيت خلاخيل المرأة وثديها وإنما لها ثديان وخلخالان أو يقال أنه تعالى أراد: يخرج من بين الأصلاب والترائب، فاكتفى بالواحد عن الجماعة كما قال تعالى: أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما، ولم يقل والأرضين هذا وقد رمق أبو الطيب سماء هذه الآية فنقلها نقلا خفيا

وإنما أوردنا القطعة لنفاستها، والشاهد في البيت الرابع حيث اقتبس مكان شهوة المرأة فجعلها تضع أيديها عليها ولهذا لم يستطع أحد من شراح ديوان أبي الطيب فهم البيت على حقيقته وخلطوا خلطا عجيبا فقال ابن جني: «أشرن إليّ من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة» وهذا كلام غير مفهوم فإن الخوف من الوشاة والرقباء يستدعي وضع الأيدي على الوجوه لا على الترائب وقال الواحدي وخاض في بيداء من الوهم: «طلبن أن يقلن نفديك بأنفسنا وخفن الرقيب فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة أي أنفسنا تفديك» وهذا يحتمل للكلام ما لا يحتمله، ولعل ابن فورجة كان أذكى من صاحبيه فقال: «وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضعن أيديهنّ فوق ترائبهنّ تسكيننا للقلوب من الوجيب» ، على أنه رغم نفاسته منقوض بصدر البيت.

٢- وفي قوله «النجم الثاقب» الفصل، وسياق الكلام يقتضي الوصل لأنه قصد إشراكهما في الحكم واتفقا فيه وإنما عدل عنه تفخيما لشأنه فأقسم أولا بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم سأل عنه بالاستفهام تفخيما لشأنه ثانيا ثم فسّره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام، روي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم فأنحطّ نجم فجزع أبو طالب وقال أيّ شيء هذا؟ فقال عليه السلام: هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله.

(١) إعراب القرآن وبيانه ج/١٠/ص/٤٤٤

٣- وفي قوله «والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم

لثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ» فن المماثلة وهو تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها في الزنة دون التقفية فالطارق والثاقب وحافظ متماثلة في الزنة دون التقفية، وقد تأتي بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد كقول امرئ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر العطر

ولهذا قال ابن حجة عن فن المماثلة: أنه نوع سافل بالنسبة إلى غيره.

قال الدكتور محمد صالح مخيمر ((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)) ((وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)) طباق و الإيجاب

((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ)) ((وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٌ)) البديع طباق والإيجاب ((خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ)) ((يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ

الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)) المعاني التكرار ((فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلَهُمْ رُوَيْدًا)) الإطناب المعاني ^١ ((قال :

الشريف الرضى وقوله سبحانه : وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ [١ ، ٢] وهذه استعارة.

لأن الطارق هاهنا كناية عن النجم. فحقيقة الطارق هو الإنسان الذي يطرق ليلا. فلما كان النجم لا يظهر إلا في حال الليل حسن أن يسمّى طارقا.

وأصل الطَّرْق : الدقّ. ومنه المطرقة. قالوا : وإنما سمى الآتي بالليل طارقا ، لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه

إلى الدق أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طروقه ، والإيذان بوروده. ^٢

١ معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم ١١٤/١٨٤

٢ (: تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣٦٣/٢

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد، فإن من نعم الله تعالى وأياديه الجليلية العظيمة أن وقفي لإكمال هذا البحث المتواضع، وفي نهاية هذه الرحلة المباركة مع التفسير سورة الطارق والتعطر من أزاهيرها الفواحة، يجدر بي أن أجمل ما أفرزه البحث من نتائج وملاحظات:

أحسن شيء يهتم الإنسان التفسير القرآن الكريم لأن في التفسير تدبر في القرآن الكريم

هذه سبب بدأت التفسرا . سورة طارق قصير ولكنه في مسائل كثير مثل مسائل فقه و البلاغية والإعجازية إلى آخر. حديثان واردة في فضل قراءتها مع أسماء أخرى . تعلمت في سورة طارق أشياء كثيرة ولا تعد ولا تعصى أطلب من الطلاب أخرى أن تبحثوا يتهم بالتفسير القرآن الكريم ((وَأخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يونس (١٠)

مصادر ومراجع

١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»-المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)-الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس

سنة النشر: ١٩٨٤ هـ - عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)

٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير-المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)-الناشر: المكتبة العلمية - بيروت-عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد)

٣- معجم الغني-المؤلف : عبد الغني أبو العزم

٤- المعجم الوسيط-المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة-(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)-الناشر: دار الدعوة

٥- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم-المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليميني (المتوفى: ٥٧٣هـ)-المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله - الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)-الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م-عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

٦- أسباب النزول القرآني-المؤلف: غازي عناية-الناشر: دار الجليل - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م-عدد الأجزاء: ١

٧- تفسير المراغي-المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)-الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م-عدد الأجزاء:

٣٠

٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)-الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩- أسرار ترتيب القرآن-المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)-

١٠ - الفقه الميسر - المؤلف: أ. د. عبد الله بن محمد الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم الموسى - الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: - ج ٧ و ١١ - ١٣: الأولى ١٤٣٢ / ٢٠١١ - باقي الأجزاء: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - عدد الأجزاء: ١٣

١١ - أحكام القرآن - المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - تاريخ النشر: ١٤٠٠ هـ.

١٢ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

١٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) - الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ

١٤ - أول مرة أتدبر القرآن - جمع وإعداد: عادل محمد خليل - قدم له: فهد سالم الكندري، د. محمد الحمود النجدي، د. عبدالمحسن زين المطيري - الناشر: شركة إس بي - الكويت - الطبعة: الثالثة عشرة، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

١٥ - الجامع لأحكام القرآن - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) - المحقق: هشام سمير البخاري - الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

١٦ - من لطائف وأسرار (تفسير النسفي) - من خلال تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠ هـ) جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش - (من علماء الأزهر الشريف)

١٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - المُنْتَقَى مِنْ فَوَائِدِ تَفْسِيرِ الْإِمَامِ الطَّبْرِيِّ
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) - المؤلف: د. يوسف بن حمود الحوشان

١٨ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين
التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

١٩ - من لطائف وأسرار (تفسير البغوي) - من خلال تفسيره (معالم التنزيل في تفسير القرآن) - المؤلف:
محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي - مع وترتيب / العاجز
الفقيه: عبد الرحمن القماش

٢٠ - تفسير القرآن العظيم - المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي،
الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ) - المحقق: أسعد محمد الطيّب - الناشر: مكتبة نزار
مصطفى الباز - الطبعة: ٢ - تاريخ النشر: ١٤١٩ هـ.

٢١ - السماء في القرآن الكريم - مؤلف: د. زغلول راغب محمد النجار - ناشر: دار المعرفة - بيروت -
لبنان. الطبعة الرابعة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٢٢ - إعراب القرآن وبيانه - المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣ هـ) -
لناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار
ابن كثير - دمشق - بيروت) - الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ

٢٣ - معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم - مؤلف: د. مخيمر صالح - ناشر: دار الكتاب الثقافي -
الأردن - اربد

٢٤ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - المؤلف: الشريف الرضي - ناشر: دار الأضواء - بيروت